وردة يابسة
مجموعة قصصية
محمد محي الدين أبوزكو

اسم الكتاب

<u>وردة يابسة</u>

النوع

مجموعة قصصية

المؤلف

محمد محي الدين أبوزكو

المقدمة

هي مجموعة قصص كنت قد كتبتها على فترات متباعدة ونشرتها على مواقع التواصل الإجتماعي تارة من أجل المزاح رفقة اصدقائي وتارة أخرى لحاجتي تفريغ متعتي في الكتابة، وعموما رأيت تجميعها ونشرها في كتاب واحد بغرض توثيقها وكذلك تسهيل الوصول إليها للقارئ المهتم في فضاء الإنترنت، ممن يفضلون الكتب الإلكترونية، والقراءة الرقمية.

مضمون القصص يختلف من واحدة لأخرى حيث لا تتفق في موضوع واحد.

ستجد فيها الفكاهة والمرح والسخرية وكذلك السوداوية

محمد محي الدين أبوزكو

الإهداء

إلى المنفيون في الأرض المصابون بالأرق وحب الرحيل، الذين يقيمون بين الطريق والطريق.

رسالة انفصال

أعدت قراءة الرسالة للمرة الرابعة، ما زلت جالساً في مكاني، يغدو الجو برودة، ويزداد الظلام ووحشية وأكثر قسوة.

هذا المكان في الصباح يضج بالناس، أطفال يلعبون، ونساء ليس ورائهم سوى الثرثرة، بإمكانه أن يحوي المئات أما الآن أشعر أنه لا يسعني، يضيق علي كأنه قبري الذي أبغض حقيقته.

لطالما كانت تحب هذا المنتزه، هذا المقعد الذي أجلس عليه الآن تحديداً، أشعر أنها الآن تجلس جواري تضحك على انكساري.

لازلت أذكر في عيد ميلادها كيف كانت تنظر إلى ذلك المتصنع، لم تعجبني نظراتها قط، ولم أشأ أن اعكر صفو ليلتها، أعترف أن وضعي المادي يزداد سوءاً، وهذا شيء يزعجني بالتأكيد، لكن جميعنا يمر بفترات عصيبة في حياته.

نفد صندوق السجائر، هذه أول مرة استهلك عشرون رصاصة في ظرف خمسة ساعات، بت أملك قدرة أكبر على تدمير نفسي، وبت أحب ذلك.

لطالما كانت الأضواء خلف الشاطئ أكثر ضبابية، لكني أرى بوضوح خلف هذا البحر من الإنتظار والجمود

ضوء يتسع ويكبر، ضوء يرقص كقطعة قماش تتدلى من السقف، أحمر يرقص كأوراق النخيل، ضوء يستحيل إلى نار وعذاب.

ما الذي اقترفته حتى أنال هذا العقاب؟ .. وددت لو كان بإمكاني الصراخ، لكني لا أملك رفاهية البواح، لم اتعود على ثقافة طرح مشاعري على الملأ.

منذ الثامنة مساء أعد الدقائق والثواني، يمضي الوقت كتمساح تخم يتمشى على الرمل.

وأنا على يقين تام أن الواحدة ستمر كما مرت الثانية عشر و الحادية عشر والعاشرة والتاسعة ولن ابرح هذا المكان، لقد تصلبت في هذه الرسالة، بل في هذه الكلمة، كلمة واحدة ارسلتني إلى آخر حدود التماسك.

عاد الجميع إلى منازلهم، بائع الحلوى، ومسؤول النظام، والأسر التي حصلت على مساء جميل، إلا أنا ظللت هنا أحدث هذه الأشجار عن مغامرتي الفاشلة، واستمع لمواساة الأضواء التي تومض من بعيد خلف الطريق.

منذ ثلاثة أيام، كنا قد جلسنا هنا كالمعتاد، ناقشنا مشاكلنا التي تشبه مشاكل أي أثنين يحبان بعضهم البعض.

ناقشنا ذات التفاصيل، غيرتنا على بعضنا البعض، خططنا لعلاقتنا، أقسم أنني فكرت بالأمس في التخطيط لمقابلة والدتها لو لا مرضها.

كم غريبة هذه الحياة تمضي بعشوائية غير عابئة بضعف هذا الإنسان.

هي لم تكن متطلبة أبدا، هذا قبل أن يهديها ذلك الوغد ساعة أجنبية، ابتسمت له ابتسامتي الخاصة، تلك التي لا تستطيع رسمها إلا لي، ويا للعجب حين عاتبتها قالت أنها تجامله، ظننت أنني ساذجا، لا أميز بين المجاملة والفخ.

ربما قميصي الأزرق القديم، وبنطالي الجينز، لم يكونا على مستوى بذلته الأرماني أو "الفورمال" كما يقولون في الأفلام الأجنبية، لكنهم أجمل ما لدي، ولا ارتديهم إلا لمناسبة خاصة.

فتحت الرسالة للمرة العاشرة، كلمة واحدة في المنتصف، كلمة واحدة كفيلة بأن تغير مجرى الرياح، وأن تعصف بأعتى الأشجار ثباتاً.

"وداعا".

هذه أقصر رسالة انفصال عرفها البشر، تؤلمني جداً هذه الطريقة، تقتلني بإهانة، وتسحق عظامي بلا رأفة.

في اعتقادي الشخصي أن كل علاقة بين البشر قابلة للكسر او التغيير، لكن ما يميز واحدة عن الأخرى هي جمال النهايات.

للذكريات نصيب كبير في تقديرنا لمن نعرفهم، كنا نستحق نهاية تليق بقبلة واحدة من مئات القبل، بمئات الرسائل الهاتفية القصيرة والأغاني التي حفظناها من برامج الراديو، أقله أن تحترم الليالي التي سهرت معنا.

لا أعرف لما أفكر في هذه الأمور الآن، بأي حال فقد انتهى كل شيء.

وصلت الساعة الآن للثانية والنصف، لا صوت يعلو على صوت النباح البعيد، وبعض محركات السيارات المتقطعة.

هذه الليلة طويلة جداً، لا يحس بمرورها البطيء سوى عاشقان، واحد سيلتقي بمن يحب غدا، والآخر سيبدء يومه غدا بغياب من يحب.

فاطمة .. حبيبتي فاطمة، لن تتصل بي غداً صباحاً، لن تتصل ابدا.

لا أعلم هل سنلتقي مرة أخرى أم لا، لكني متأكد إن صادف و إلتقينا، ستأتي نحوي غاضبة لتعيد إلي هديتي، نظرتها لها وهي تفتحها ذلك اليوم أخبرتني الكثير.

في الحقيقة هي لم تنظر إليها بالكامل، فتحت فقط نصف الصندوق وحين رأتها مجرد أوراق أغلقته.

لقد غضبت كثيراً لذلك الأمر، مع أني حاولت إيجاد طريقة لمنحها العذر، في النهاية لم استطع.

لم يأخذها الفضول حتى لمعرفة ما كتب عليها، وكدت أن أقول لها بأنها 55 رسالة كتبتها لها حين كنت في السجن طوال 55 يوما، لكن نفورها الدائم من قصة سجني منعني.

الثالثة فجراً، لم يتغير شيء حولي سوى اتساع ضوء النجوم، وصمت طويل يبتلعني.

قرأت الرسالة للمرة الخامسة عشر، كلمة واحدة تثير جنوني وحزني، تأكلني من الداخل تنهش في لحمي بشراهة.

بكيت مرة ثانية، أنا الذي لم أبكي منذ سبعة وعشرون عاماً، الآن هذه المرة الثانية لي في ظرف أسبوع، وكانت المرة السابقة حين تعبت والدتها مرة أخرى.

مؤكد ستلتقيه، هل يا ترى ستقبله مثلما تقبلني؟ تغني له اغنيتي المفضلة على الهاتف؟ ..

هذه التفاصيل تكاد تقتلني، هي التي لم تكلف نفسها عناء مواجهتي علنا، واكتفت بكلمة واحدة لانفصالنا لا أظن أنها ستحتفظ بما يخصنا من فنون الحب.

في اليوم الذي دخلت فيه السجن، لم تأتي لزيارتي فكتبت لها رسالة ولم أرسلها، وفي اليوم التالي لم تأتي لزيارتي كتبت لها رسالة ثانية ولم أرسلها أيضاً، وهكذا حتى مرت 55 يوما.

حين خرجت عاتبتها على ذلك، تعللت بالاعتناء بوالدتها المريضة، لم تسألني لما دخلت السجن، ولم

أخبرها، خشيت أن تعرف مني أنني دفعت تكاليف علاج والدتها بدلا من سداد دين علي، أن يشعرها ذلك كأني أطالبها برد المبلغ.

سيل من الذكريات، الأسئلة، الافتراضات، كثير من الأشياء تتزاحم في رأسي، مشوش بالكامل ومتخم بالتفاصيل، رأسي الآن أشبه بمحرك عربة معطلة، بصندوق وصلات كهربائي محترق، ملايين من العمليات الحسابية تريد حلولاً، أشعر أني سأنفجر بأي لحظة.

أخرجت القداحة، أدرت الزناد لم أجد رصاصة كي تقتلني اكثر، لقد أكلتها جميعا، رأيت أنني ميت أحمل قبري على كفي وقد كتب على شاهده "وداعاً"، اجلس جسدا يبكي على روحه.

لم أستطيع أن اعيد الزناد خائبا، لطالما كنا على خلاف، حين أبدل نوع سجائري إلى آخر، او حين أستخدم قداحة أخرى، لكنه لم يتذمر قط، لذا قررت رد بعض جميله وأضرمت النار على قبري حتى أضحى تراباً، وسقط شاهده مكسورا على نصفين، ولم يتبقى من الكلمة سوى حرفين. "ود"

ضحكت مطولاً و عيناي تضحكان أم تبكيان معي لا أدري، لكنهن بلا شك يذرفان دمعا، دمعا غزيراً ودافئا.

حينها أدركت أننا كالسفن القديمة، تركب البحر على أمل الوصول، لكن قليل منها من يحالفها النجاة من الغرق.

دقت الخامسة، حملت جسدي المرهق على قدمان بالكاد تقويان على السير، ودعت المقعد على أمل

اللقاء غداً، وقررت أن أبحث عن رفيق كي أمنحه نصيحة ..

"لا تخذلنا الحياة إلا حين نأتمنها على الجانب الأضعف منا".

الأخطبوط

ثلاثة أعوام ولم أتمكن من العودة إلى منزلي، إلى زوجتي و حبيبتي وأطفالي.

هذه فترة طويلة جداً بالنسبة إلى سفرية مفاجئة، لكن لكل بداية حماسية نهاية تليق بحرارة الإنطلاق، لكني لا أريد أن أجرب ذلك الشعور مرة أخرى.

ما زلت أذكر ذلك اليوم، كيف قفزت سواكن فرحة بوجود منجم نيجيري في الحي.

الرجل لا يشبه الدجالين والمشعوذين معروفي المظهر لدينا، لا يرتدي جلبابا، ولا يضع قبعة مخروطية كالدراويش.

رجل عادي بنطال وقميص قطن، كسائرنا، لكنه يحمل صندوق زجاجي يلهو فيه أخطبوط ذو لون أرجواني، عدد أياديه تفوق عدد شعرات رأسي، أو تلك ألسنته لا أعرف.

أدعى الرجل النيجيري أنه بوسعه كشف الغيب، والمعاذ بالله من هكذا شرك، لكنه علل هكذا ادعاء خطير بأن الاخطبوط هو ما يفعل ذلك، وزين لصغار العقول إنه في بعض الأحيان يخطئ، وبذلك مهد لهم الطريق للتعامل معه بلا أدنى أي وازع ديني.

وهذا ما دعى لتهافت النساء عليه، وبعض الشباب العاطلين عن العمل وأصحاب النظرة الدونية للأعمال الحرة.

أما أنا فقد تمكنت من إقناع زوجتي بصعوبة بعدم جدوى ذهابي إليه، وعوضا عن ذلك بعثت معها سجى وساجدة لعلي أنعم ببعض السكينة من ضجيج الصغيرتان والصغيرة الكبرى، والدتهم.

بعض نصف ساعة بالضبط قررت الطفلتان قطع سكوني الذي بدءت اتعمق فيه.

ولم أجد فكك من إلحاحهم بالذهاب معهن إلى ساحة الحي لمشاهدة الرجل وهو يكشف لهم الأسرار الكونية.

كانت دائرة ضخمة من النساء والأطفال، وقليل من الرجال الذين أجبروا على الحضور، يقف الرجل في المنتصف واضعاً حلزونه المشوؤم على طاولة خشبية.

كانت هنالك اربعة نساء في الدائرة بمن فيهم زوجتي سواكن، وبعد التدقيق فيهم جيداً عرفتهم، هن جارات زوجتي سماح و رقية و وهبة.

هبة؟ ماذا تفعل هنا؟ فزوجها غائب منذ خمسة أعوام.

وقفت مع الجمع الغفير، أنظر مثلهم لزوجتي وهبة و الاثنتين.

ثم أشارت لي زوجتي أن اقترب، ولم أجد بد من الذهاب، أكره أن أبدو كأبله لا يلبي طلبات زوجته.

حين تقدمت وجدت نفسي اتوسط فاروق وعبد الحليم زوجا سماح ورقية.

بالتالي أصبحنا، ثلاثة رجال وثلاثة نساء، تقف هبة مع زوجاتنا بلا ذلك الحمار الذي رماها هنا وسافر إلى الخليج.

رائحة الدخان تفوح منها بعنف، ومع ذلك لم يخفي العطر الباريسي الذي تضعه، هذه نعمة سأشكر طفلتاي عليها، أن اتنشق هذه الجواهر، تبدو منتصبة صلبة كعارضة أزياء نرويجية.

العرض الذي سيقدمه الرجل، والذي أصبحنا ضمن أدواته فيه بلا شك، هو أن الاخطبوط سيكشف عن قوة العلاقة في المستقبل الذي يجمع الزوجان.

وقفت سواكن بجانبي ثم همست لي:

هبة زوجها غائب منذ خمسة أعوام، ورغم ذلك تصر على معرفة القليل عن مستقبلها مع زوجها.

فهمست لها بدوري:

ربما تريد أن تتأكد من جدوى انتظارها له، أو عدمه.

فعقبت:

ربما الأقاويل التي تقال عنها صحيحة، وهي فعلا خانته.

لم أستطيع أن اسألها عن هذه الشائعة الخطيرة، من عرف بهذا الأمر وقرر نشر الفضيحة، هذا الحي مليء بالنمامين، وفاقدي الضمير.

دار الرجل حول الطاولة، ورمى لحشرته الارجوانية بعض الدود من جيبه، او يرقات بفراشة، لا أعرف المهم شيء يتلوى.

بعد أن التهم الاخطبوط تلك القذارة، طلب إلينا الرجل أن نضع أيادينا داخل الصندوق الزجاجي، حاول أن يمنع هبة بعربيته الركيكة من إخراج يدها لكنها رفضت فسمح لها.

أصبحت يدي ويد زوجتي ويد فاروق وزوجته، ويد عبدالحليم وزوجته، داخل الصندوق.

قال الرجل النيجيري أن الاخطبوط سوف يتعرف على يد مل زوجين، سيضع إحدى خراطيمه المثقبة على يد الزوج، و الأخرى على يد الزوجة لبرهة من الوقت، فإذا تصاعدت فقاعات من القاع فهذا يعني أنه يتنفس بالتالي يجمعهم مستقبل مشرق وسعيد، أما إذا لم تخرج فقاعات فبالتالي لا يتنفس، ويعني هذا أن مستقبلهم غير مبشر.

بدءت اللعبة.

كان أول زوجان هما فاروق وزوجته، بعد برهة من الوقت تصاعدت فقاعات من تحت الحيوان البحري، لو لا احتشامهم لعانقوا بعضهم البعض في العلن وسط زغاريد وهتافات الجمع الحاشد.

منح فاروق الرجل ثلاثون جنيها وغادر المكان رفقة زوجته.

تبدو هذه اللعبة مضحكة وتافهة، لكني أعلم أنها خطرة.

بدءت اللعبة من جديد.

كاد أن يضع إحدى خراطيمه المقززة على يدي لكنه غير رأيه ليختار عبدالحليم وزوجته.

كانت الفاجعة، كان وجه عبدالحليم كلاعب دومينو (قفلها ميطي) مصدوما ومتفاجئا في ذات الوقت.

غادروا المكان في صمت رهيب، ونظرات الحسرة تحيط بهم من كل حدب وصوب.

بقيت أنا وزوجتي، وبالطبع هبة، طلبت من هبة أن تسحب يدها لأن الموضوع أصبح لا يحتاج لاجتهاد.

لكنها رفضت بحجة أن الاخطبوط ربما يختارها هي ويخبرها عن مستقبلها مع زوجها.

وكما هو متوقع، كان الإختيار على أنا، كان ملمس لسانه لزجا، لكن مهلاً ...

لقد أختار هبة، ولم يختار زوجتي، لماذا؟ ..

سحبت يدي، صاحت زوجتي ..

ربما هنالك خطأ، أليس كذلك؟

ربما هناك خطأ نعم. أجاب عليها الرجل.

أعدت يدي مرة أخرى، هذه المرة أختار يدي، ويد زوجتي .. لكنه لم يتنفس .. هذا عبس.

هممت بسحب يدي، لكنه قرر أن يرسلني في سفرية مفاجئة ..

حيث عاد واختار هبة مرة أخرى .. ثم تنفس.

ماذا؟ ..

هل هذا أيضاً خطأ؟ للمرة الثانية؟. سألت زوجتي بغضب.

أجاب الرجل النيجيري ..

لا ليس خطأ، لم يخطئ الاخطبوط مرتين من قبل، بكل تأكيد إذا لم تكن زوجته، فقد جمعهم ماضي، لذلك سيجمعهم المستقبل ..

في تلك اللحظة، أدركت أنني ما زلت قادراً على الركض أسرع من المك نمر.

إنتظار

تغيبت عن دروس الماجستير لثلاثة أيام، كنت قد ذهبت برفقة أسرتي إلى منزل حبيبتي وتمت خطبتها لي رسمياً، انا أسعد رجل على وجه الأرض، أخيرا سيصبح بإمكاننا الخروج معا دون خوف من نظرات الآخرين، أو ما يعتقدون بشأننا.

صحيح لم نظل صبيانا في عمر العشرينيات، لكن كانت قصة حبنا تستحق هذا الإنتظار، مذ ان ألتقينا في المدرسة الثانوية ونحن معا، قطعنا وعدا لأنفسنا بأن نتزوج حال ما ننهي دراسة الماجستير في العلوم الفيزيائية.

واليوم، حال ما أصل سيعلن لنا المحاضر تاريخ ونظام الإمتحانات، وبعد شهر وثلاثة أيام سنعقد قراننا.

لم أخرج يوماً في هذا الصباح الباكر، الهواء يتسرب من نافذة العربة دافئا رطبا.

أرسلت ثلاثة رسائل إلى فاطمة، ومكالمتين، لا أعلم لما لم لم تجيب عليهم حتى الآن؟

عادة، نتحدث أكثر من عشرة دقائق قبل أن نلتقي في بوابة الكلية، لكنها أحياناً تخرج مع والدها ولا تتحدث معي، ورغم ذلك، كانت تبعث لي رسالة تخبرني بذلك.

ربما تشعر بالقلق، او التوتر، فأخيرا أخذنا خطوة رسمية في علاقتنا.

حين وصلت الكلية لم اجدها في إنتظاري، قلت لنفسي لا يهم ربما سبقتني او تأخرت، لكن الوقت يداهمنا سيعلن المحاضر بيان الإمتحانات في الثامنة تماماً، أي بعد دقيقة ونصف من الآن.

جلست في مقعدي، ونظرت يساري، كان مقعدها فارغا، هل تأخرت في زحمة الطريق؟ ولما في هذه اللحظة بالذات؟ ..

كانت قد اخبرتني بأنها تكره الإنتظار، أنا أيضاً أكره الإنتظار، ولكن الشيء الوحيد الذي سانتظره طوال حياتي هو حين نغلق باب منزلنا علينا، ووعدتها بأني سأنتظرها طوال حياتي.

لا اصدق أبدا، هل مضت خمسة أعوام بهذه السرعة؟ حقا كان جدي صادقا في قوله لي "حين تنتظر شيئاً تحبه، لن تشعر بمرور الوقت وستجده أمامك، لأن شعور المتعة في ذلك سيكسر ملل الإنتظار".

لا أدري لما تأخرت هكذا؟ ..

دخل المحاضر إلى القاعة، نهض الجميع، تلفت يميناً ويسارا وما زالت لا ترى.

سألت ربيعة صديقتها المقربة بإيماءة من رأسي مستفسرا، فأجابتني بدورها نافية.

صاح المحاضر :

- هل الجميع هنا؟

صحت، هنالك شخص لم يحضر بعد.

نظر نحو الكرسي الفارغ ثم واصل حديثه بلا إكتراث ...

- حسنا، سأبدأ الآن، هلا إنتبهتم جيداً. !

نهضت من المقعد ..

- عفوا يا دكتور، فاطمة لم تحضر بعد، هل يمكنك منحها دقيقة واحدة، هي لا تتأخر عادة؟

رمقتني بنظرة يائسة واكمل ..

- حسنا، سنؤجل بيان الإمتحان أسبوعا آخر ..

تنفست الصعداء .. واستكمل حديثه ..

- سنؤجله لأن هنالك زميل لكم قد تعرض لحادث سيارة ..

ماذا؟ ..

ثم رن هاتفي، .. كانت فاطمة التي أتصلت ..

صمت المحاضر وأمرني بالرد خارج القاعة .. خرجت.

وحين وضعت الهاتف على أذني، جاء الصوت متكسرا .. مختنق ..

- البقاء لله.

فأدركت حينها بأن علي وعدا قديما علي الإيفاء به طوال حياتي، ولن أستطيع.

الحفلة

حلقات الدخان التي تتسرب ببطء إلى الأعلى وتتلاشى كأن لم تخرج من فمه، تخبرك أنه مدخن منذ أن احتل نابليون أروبا، لكن بالرغم من ذلك لم يكن فاروق من المدخنين القدماء، بل هو يجيد سرعة تعلم الأشياء.

ليس كصفوان الذي ظل قرابة أسبوعين يتعلم كيفية وضع السيجارة بين الوسطى والسبابة.

يطلق فاروق دوائره في ضجر، تنتهي السيجارة يرمى بما تبقى منها تحت جزمته السوداء الملطخة بالطين، يتأفف، ينهض من العنقريب المتهالك ليستكشف الوضع في الغرفة التي تستخدمها لوشيا كمعمل لصناعاتها النتوية.

يعود مرة أخرى ليرمي نفسه بجانب صفوان الذي أكل الإنتظار منه ما أكل، فيسأله للمرة الخامسة:

- لسه؟

يمضغ فاروق شفته السفلى ويهز رأسه نافيا ..

بينما صفوان يطبق كفه على ساقه بينما ينحنى ليريح صدره على ركبتيه.

ينادي فاروق ..

- يا لوشيا لسه؟

يحبون هذه الكيماويات، تشفى فيهم جروح لا يستطيعون مواجهة العالم بها.

بينما هم جلوسا على تحت شجرة النيمة الكبيرة، ويكاد يئن العنقريب من فرط التحمل، ربما لأنه عمر من العمر عتيا.

يمدد فاروق قدماه، فيسخر صفوان من الخرم الذي يبتلع أصبع القدم اليمنى خارجها، فيرد له فاروق السخرية بالمقابل .. عبر وضع سبابته في ثقب العراقي المشرئب بالأوساخ.

فيبرر صفوان ارتدائه ..

- انت عارف دا بتاع المعارك دي، انا ملابسي ما فاضية لملابسك انت عارف كده ..

بينما يقهق فاروق .. يسحب أحدهم الباب ويطل منحنيا عبر عتبة الباب الخشبي المتهالك، فيصيح صفوان في حماس ..

- أوووووو حلمي بك.

فيرد له حلمي بذات المد ..

- اوووووووو صفو يا صفو .. شنو الحفله لسه ما بدت؟ ..

يقاطعه فاروق ..

- ياخ لوشيا دي لسه مع عدتها شكلنا ح نتأخر ..

يلامس كفوفهم بسرعة، هذه التحية المتعارف عليها بينهم، ويكمل طريقه إلى الفنانة في معمل الكيماويات الخاص بها .. بينما يضحك فاروق وصفوان حتى نواجزهم على بنطاله المتدلي حتى أعلى ركبته بالرغم من سلك النحاس الذي يجاهد كي يؤدي واجبه في الإمساك به حول خصره النحيف.

لم يكملوا ضحكهم حتى جاء مدعو آخر إلى الحفلة التي تأخرت، جميعهم في إنتظار الفنانة في معملها، ربما تستعد ببروفة تمرن عليها حنجرتها.

وصل إليهم الشاب وتعلوه ابتسامة مرحة، صافحهم في حماس رجل ينتظر خروج مولوده على يدي القابلة من غرفة الولادة.

سألهم ..

- لسه ولا شنو، لوشيا طلعت؟

- لا والله يا عزمي، لسه بتستعد .. كانت أجابتهم واحدة، في ذات التوقيت وبذات الكلمات.

- حلمي وين؟ ..

قبل أن يجيب عليهم أحد، نهض الجميع، علت وجوههم إبتسامة مرحة، بينما يتمايلون في سرور وهم يراقبون حلمي وهو يمشي في خيلاء حامل معدات الفنانة.

أخيراً ظهرت لوشيا ..

حين استقرت بينهم، ألقت عليهم التحية ثم في غير ما تعودت عليه الحفلات، لم تغني الفنانة، بل أمسك الجمهور المايكروفون، كل يمسك مايكرفونه الخاص، أبيض شفاف ذو غطاء ازرق.

غنوا حتى الإرتواء .. غنوا في صمت، ثم في أخرج كل واحدة حزمة نقود ورموا بها على الفنانة كأنها من غنت لهم.

واصطفوا على خط واحد، حلمي يمين فاروق وعزمي يمين يمين حلمي بينما صفوان اتخذ من يسار فاروق موقعا له.

خرجوا يتاميلون كقطعة كاستر خرجت من الفرن لا تقوى على الوقوف بينما لا تسقط أبدا..

وضعوا أياديهم على أكتاف بعضهم البعض، ونحوا وجهة لا أحد يعلمها أكملوا رقصتهم وهم يغنون ..

- زمن كاااااي .. زمن تندي ..

- تعال بي جاااي .. أنا ما عندي ..

- عمو حسين العسكري ..

- راجع من السوق ...

- لاقى ادروب المفتري ..

- راكب فوق ..

موعد لم يكتمل

كل شيء أبيض من حولي، السماء بيضاء رغم أنني أعلم يقينا أنها زرقاء لكنها تبدو لي بيضاء، البحر أبيض، رمل البحر أبيض، الأشجار حول البحر بيضاء، الصخرة التي اجلس عليها بيضاء، حتى ملابسي الملونة بيضاء.

سألت نفسي، ربما أصبت بالعمى؟ .. لكن لا يرى الأعمى سوى الأسود، إذا هذا شيء مختلف.

جلست ما يقارب ساعتين، ولم تأتي فاطمه.

السماء تتدحرج من المنتصف نحو الغروب، أرى لونها الأبيض يتحول إلى ذهبي أبيض.

زبلت الوردة البيضاء في يدي، والتي كانت بيضاء حمراء حين خطفتها.

ولم تظهر فاطمه بعد.

استجمعت قواي، ونهضت ربما تأخرت في البحر، من يدري ربما جرت الرياح كما تشتهي الرياح، لا كما تشتهي سفينتها.

غادرت نحو وجهة نحو السماء لا أعلمها، وحين وصلت جلست في مقعدي وأمامي نافذة تنقل لي الأحداث.

لقد تعجلت في المغادرة، أرى الآن فاتنتي تجلس على ذات الشاطئ، فستانها زهري فاتح اللون.

تعيد ترتيب شعرها الذي عبث به النسيم، ترسم قلبا على الرمل، تجلس القرفصاء، تنهض من جديد لترمي حجارة صغيرة في البحر تكسر بها مللها، تشبك أصابع يديها فوق بعضهم البعض، تبتسم حينا، وتغرق في حزنها حينا، لكن بلا ادنى شعور بالندم.

هل انا الذي تأخرت؟ ..

قررت الذهاب، يداي مقيدتان بلا شيء، قدماي لا تتحركان، هل أصبحت قدرتي على الحركة مشلولة؟

صحت لها؟ ولكن صوتي لا يغادر حنجرتي، أخيرا رأيتها تفعل شيء يلفت الأنظار، كتبت على الشاطئ ..

(ربما سنلتقي غدا) .. هي تعتقد بأنني سوف آتي بعدها.

نهضت لتنفض ما علق على فستانها من رمل، وتسربت قدماها ببطء نحو المركب الشراعي.

تلاشى لون الشراع الأسمر رويدا رويدا عن ناظري، وتلاشت خلفه موجات البحر الحزينه.

مر الوقت كمرور سلحفاء تخوض سباق ضد أرنب بري، بطيئا ومملا.

في اليوم التالي، في ذات المكان، بترتيب ذات الأحداث، وتكرار ذات اللون والنسق في كل شيء، أعود ادراجي نحو لا مكان، بعد ان لا تأتي فاطمه.

أجلس أراقبها، وهي تعيد تمثيل سابق اليوم، وتعانق المركب الشراعي مغادرة، بعد ان تكتب على ذات الموضعِ، ربما سنلتقي غدا.

يوما، شهرا، عاما و خمسة اعوام، نتعاقب كالقط والفأر، نرى بعضنا في الغيب البعيد ولا نلتقي ابدا.

هل كنت انا الذي تأخرت، أم تقدمت هي عن الموعد؟.

مرت عشرة اعوام، وحين جلست على الكرسي كي أعيد مشاهدتها وهي تكتب تلك الجملة، لم تظهر.

ربما كنت أعمى حقا، لكني قرأت بوضوح الجملة التي كتبتها الليلة السابقة، ولو ان مد البحر أزال جزء منها، كل الذي تبقى .. (ربما ..).

ما الذي يعنيه هذا؟ .. قررت حينها الذهاب إلى هناك والإنتظار حتى نلتقي.

هذه المرة لم أشعر بوجود قيود على يداي، ولم أشعر بتكبيل يسجن قدماي، في الحقيقة لم أجد شيء.

قدماي قد تبخرت، رفعت يداي لأمسح دمعي، لكني رفعت الفراغ، وحين شعرت بدفئا يسيل على خدي، زمجر الهواء غاضبا حين لم يجفف شيئا.

اين فاطمه؟ .. بل اين أنا؟ ..

تلاشت النافذه لأول مرة، واغلقت أضلعها الخشبية، صحت ..

- من هناك؟ .. أفتح لي النافذه ..

جاء صوت من عدم ..

- لن تفتح النافذة إلا بعد ألف عام ..

- اريد ان أرى حبيبتي، إنها تنتظرني

- لا أحد ينتظرك ..

- لا بل هي تنتظرني .. أريد ان تفتح النافذة ..

لم يجيبني الصوت، رفعت يدا لا أراها وشرعت في فتح النافذة بكل قوتي ..

عاد الصوت ..

- إذا فتحتها، ستكون المرة الأخيرة ولن ترى شيئا ..

- لا يهم، ففي كل الحالات لا أرى سوى موعدي الذي لا يكتمل.

فتحت النافذة ...

عادت الألوان .. عادت الحياة ..

رأيتها جالسة تحيك قماش ازرق، تبدو أكبر سنا، حولها طفلين ..

هل هما أبنائي؟ .. يلعبان في جمال برئ ...

دخلت عليهم، كنت أحمل فاكهة للصغار .. مهلا، هل هذا أنا؟ أبدو وسيما ..

لكني لم اعد أتزكر ملامح وجهي، ..

بحثت في المنزل، كثير من الصور، والزكريات، لما لا أزكر شيئا منها.

دخلت غرفة النوم، فتحت خزانة الملابس، كل الادارج ممتلئة، إلا درج واحد يحمل فستانا زهري فاتح، يبدو قديما، وبحالة جيدة.

بينما كنت هناك، فتحت فاطمه الدرج.

توقفت لتراني قليلا .. سال دمعها، قبلت الفستان، وقالت لي ..

- اليوم مرت خمسة عشر عاما .. منذ ان أشتريت ل هذا الفستان.

-

أنا من أهديتها له، ما المناسبة التي تجعلها تبكي؟ هل لأني لم أحضر ذلك اليوم لأراها ترتديه؟ ..

لما لا اتزكر شيئاً، كل الذي أتزكره هو أسمي.

أقتربت منها، أشتهيت قبلتها، وحين لامست شفاه الخيال ادركت أنني لم أكن موجوداً في تلك الخزانة.

أغلقت الخزانة، وصاحت تكلم أحدهم ..

- حاضر يا ياسر ..

مهلا ياسر ليس إسمي .. أردفت ..

- تقدم انت والصغار سألحق بكم.

ماذا؟ ..

شيء يسحبني لأعلى ..

النافذة تغلق نفسها ببطء ..

رميت عيناي سريعا نحو البحر .. رأيت مركب شراعي يغرق .. شخص يستغيث ..

لا يعرف كيف يسبح .. حمله ذات الوجه الوسيم، إلى الشاطئ .. يحاول أنعاشه ..

الشيء يسحبني سريعا لأعلى ..

رميت نظري نحو فاطمه، وذلك الوجه الوسيم معها، يرتدون اللون الأسود جميعهم.

عدت إلى الكرسي .. كادت النافذة تضم كفيها ..

لمحت شاهد مقبرة ... كتب عليه بخط رديء ..

(الحبيب الصديق، الذي نام في البحر ولم يستيقظ)

ومع آخر ضوء يخرج من بين تصادم خشب النافذة سمعت صوتها يقول ..

- حضرت في الموعد، وانت كنت دائماً متأخرا، لكن هذه المرة لم تحضر ابدا.

أغلقت النافذة .. لوحتها، فعرفت بأنني هناك، وهنا.

وأنني، سابقى إلى الأبد عالقا في ذلك البحر.

الصرخة

في المرة السابقة، لم نكمل سهرتنا في منزل موساتي بسبب انقطاع التيار الكهربائي، ليس لأن مدة انقطاعه تأخرت، بل لأن بزيانوس يمقت الظلام.

وأيضا لأن عبدوش مصاب بفوبيا القطط وتلك الليلة أفلت القط ميشو من مكيدة موساتي ولم يتعرض للسجن في غرفة الضيوف كما تعود موساتي فعلها كلما جاء عبدوش لزيارته.

واليوم قررنا السهرة في منزلي، حدثت لعبة فيفا لكرة القدم مؤخرا، ولا أطيق إنتظار بدء اللعب وهزيمتهم جميعا.

في آخر مرة لعبنا فيها هزمت بزيانوس خمسة مقابل لا شيء، لو لا انقطاع التيار الكهربائي تلك الليلة لضممت موساتي وعبدوش إلى صفي في التحفيل عليه.

هيئت المنزل جيداً، وشغلت المولد الخاص بي، لان الكهرباء منقطعة عن الحي منذ ثلاثة أيام بسبب موجات المطر والرعود، وايضا بسبب العاصفة التي ضربت محطة التوزيع الرئيسية.

مضت نصف ساعة الآن، كل شيء مرتب، لن تنقطع الكهرباء اليوم بالتالي لا شيء سيحدث لبزيانوس، لا أدري كيف يخشى الظلام وهو الذي لقب في المرحلة الجامعية ب"أسد الظلام "هذا تناقض غريب.

أما عبدوس فقد تأكدت بنفسي من إغلاق نوافذ البيت، ولن يجد قط الجيران الأسود منفذ للعبور إلى الداخل إلا لو استطاع النفاذ من خلال فتحة المفتاح في الباب الخلفي.

وما زاد إطمئنان عبدوش هو ان القط المقصود متغيبا عن الظهور منذ خمسة عشر يوما، اعلم انها مدة طويلة جداً لصاحبه، وانا أيضا أفتقده، ربما أحياناً يخيفني صوته الذي يشبه بكاء رضيع استيقظ جائعا ولم يشعر بوجود أمه جواره.

ومع ذلك فهو قدم لي قدمة كبيرة جداً، حيث تكفل بالقضاء على كل فئران المنزل، وتلك التي تحتل البدروم.

وصل الشباب، تناولنا العشاء، ثم بدءنا اللعب وسط سخرية موساتي من سوء تدني مستوى بزيانوس وعبدوش، وقد أطلق موساتي على عبدوش لقب "جنينتي "وهو لقب يطلق على من يخسر في اي لعبة

قصاد شخص معين، وبالتالي يكون اللقب منسوبا لذلك الشخص.

مضت ساعتين ونصف، عادت الأمطار الغزيرة تتساقط من جديد، كل البلدة قطعت أضواءها، إلا منزلي، ربما لاني لا اثق في الحكومة لذلك أنجو دائما.

ومعا زيادة متعة السهرة غفلت تماما ان المولد الكهربائي موجود في الفناء الخلفي معرضا لماء المطر، ولم أتذكر ذلك إلا حين توقف عن العمل فجأة.

مع موجة الظلام تلك وأصوات ضربات البرق، تسرب الخوف رويدا رويدا إلى بزيانوس، فأمسك بكتف عبدوش يائسا الذي صاح به ساخرا ..

- تمسك كتفي يا ماسورة؟ ..

وفي محاولة منا لمعالجة الوضع سريعا اقترح موساتي بأن ننقل الموالد إلى القبو، وان نذهب انا وهو تاركين بزيانوس رفقة عبدوش.

ريثما نفتح باب القبو شعرنا بحركة شيء قد سقط، ورجح موساتي بأنه احدى الأغراض التي تملأ المكان، ناعتني بمهمل الأشياء التي تخدمني.

ضرب البرق والرعد معا، لمعة الضوء وصوت الرعد كانا كفيلين بإثارة الرعب فينا جميعاً لكننا تماسكنا عكس صديقانا في الخارج حيث علت صرخة مستنجدة وحادة ..

- وااااااااااي ..

فهمس لي موساتي ساخرا ..

- تفتكر دا بزيانوس ولا عبدوش ..

فأجبته بديهيا .. هذا بزيانوس مؤكد.

أعدنا تجفيف المولد وتشغيله مرة أخرى، وبعد أن دبت الحياة في أرجاء المنزل عدنا إلى الصالة حيث نجلس، وراعنا ما وجدنا ..

كان بزيانوس جالسا على طرف الأريكة العريضة دافنا وجهه في كفيه، وعبدوش ممسكا بحذائه يهدد القط الرابض امامه تماما.

وريثما توقفنا عن الضحك، سألني موساتي ..

- من فعلها؟ .

-قلت ماذا .. ثم انتبهت بعدها إلى موضع إشارته حيث يجري سائلا يشبه الماء أسفل الأريكة.

تمت

محمد محي الدين أبوزكو كاتب ومؤلف سوداني، صدرت له مجموعة من الإصدارات الأخرى في الشعر والرواية وهي كالآتي:

1. **البكاء في محراب فاطمة "شعر" 2020م.**
2. **لازوريت والتائه "رواية" 2021م.**
3. **بواح الرمق الأخير "شعر" 2022م.**
4. **موتا هنيئا "رواية" 2023م**
5. **وردة يابسة "مجموعة قصصية" 2024م.**